RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 5, September 2023

Received: 29/06/2023 **Accepted:** 19/07/2023 **Published:** 01/09/2023

THE PALESTINIAN NAKBA AND ITS REFLECTION ON THE SHORT STORY "TILL WE RETURN" AS A MODEL

Muneera Dawod MAALI [1]
Researcher, The Ministry of Education, Palestine
Suad Yousef HAJJAJRAH[2]
Researcher, The Ministry of Education, Palestine

Abstract:

This study aimed to shed light on the Palestinian Nakba and its reflection on the short story.

The short story is nothing but a reflection of human experiences that have become a reflection of the human and political suffering and experiences that the Palestinian refugee lived through after the Nakba, and gave birth to a state of despair in him after he lost his land, which is the source of his livelihood, and he became homeless inside and outside the country, sheltered by some tents provided by international organizations such as the Red Cross and UNRWA.

These bad conditions cast a shadow over the Palestinian literature, so the writers devoted themselves to writing their novels and stories, describing the suffering of the Palestinian people in all aspects of their lives.

This study also attempted to analyze the story of Until We Return and link it to historical and human events in addition to the spatial event.

Key Words: Palestinian Nakba- Short Story-Resistant Thought -Story to Come Back-Ghassan Kanfani.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.25.6

[1] muneeramaali@gmail.com https://orcid.org/0000-0002-8293-8582
[2] Asuad0018@ gmail.com https://orcid.org/ 0000-0002-8378-0844

النكبة الفلسطينية وانعكاسها على القصة القصيرة
"قصة إلى أن نعود أنموذجاً"

منيرة داود اسماعيل معالي

الباحثة، مديرية التربية والتعليم، فلسطين

سعاد يوسف محمد حجاجرة

الباحثة، مدرسة بنات مسقط الثانوية، فلسطين

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على النكبة الفلسطينية وانعكاسها على القصة القصيرة.

فالقصة القصيرة ما هي إلا انعكاس لتجارب إنسانية التي أصبحت انعكاساً لمعاناة وتجارب إنسانية وسياسية عاشها اللاجئ الفلسطيني ما بعد النكبة وولدت لديه حالة من اليأس بعد أن فقد أرضه التي تشكل مصدر رزقه وأصبح مشرداً داخل الوطن وخارجه تأويه بعض الخيام التي قدمتها المنظمات الدولية كالصليب الأحمر والأنروا، وقد ألقت هذه الأوضاع السيئة بظلالها على الأدب الفلسطيني فانكب الأدباء على كتابة رواياتهم وقصصهم واصفين معاناة الشعب الفلسطيني في جميع مجالات حياته.

الكلمات المفتاحية: النكبة الفلسطينية، القصة القصيرة، إلى أن نعود، غسان كنفاني.

المقدمة:

تعد القضية الفلسطينية من أولويات الأدب الفلسطيني وخاصة بعد أن تم تهجير الشعب الفلسطيني عن أرضه عام 1948 (النكبة) وأجبر على العيش في الخيام التي أقامتها الاونروا في الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لكن الشعب الفلسطيني رفض أن يحول قضيته إلى قضية إنسانية وتمسك بحقه في العودة إلى وطنه وقد جسد الأدباء الفلسطينيون ذلك من خلال الرواية الفلسطينية والقصة القصيرة.

يُعد غسان كنفاني من أبرز الأدباء الذين قاوموا بالقلم والكلمة وجسدوا شخصية اللاجئ الفلسطيني الذي عاد لينتقم ممن سلبوه أرضه في قصة إلى أن نعود؛ وذلك لندرة الدراسات التي تناولت القصة ببعدها التاريخي.

وتأتي أهمية الدراسة في كونها دراسة للقصة القصيرة وتحليلها من الناحية التاريخية من الدراسات المهمة والحيوية التي تعكس حياة المقاوم الفلسطيني.

كما تظهر حجم المعاناة التي عاشها اللاجئ الفلسطيني الناتجة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والنفسية بعد أن هُجر من أرضه التي كانت سبباً في عودته للتخلص من الاحتلال.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي تناول قصة إلى أن نعود ووصف انعكاس النكبة على كتابة هذه القصة.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت الرواية الفلسطينية بشكل عام مثل دراسة:

1- الرواية الفلسطينية في الوقت الراهن "ميخائيل باختين" -ترجمة فخري صالح-.

2- القصة الفلسطينية النشأة والتطور" دلال حسين عنبتاوي".

3- الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني "هيام عبد الكاظم ابراهيم".

جميع هذه الدراسات تناولت الرواية الفلسطينية بشكل عام في حين تميزت هذه الدراسة بخصوصيتها في تحليل قصة إلى أن نعود من الناحية التاريخية لتضيف المنهجية التكاملية بين الأدب والتاريخ.

جاءت هذه الدراسة في فصلين ومقدمة وخاتمة تناول الفصل الأول النكبة وانعكاسها في قصة إلى أن نعود من حيث الحدث التاريخي (الدافع من كتابة القصة والحدث الإنساني والمكاني والعقدة والحل في القصة

وجاء الفصل الثاني متضمناً وصفاً لأبعاد القضية الفلسطينية في قصة إلى أن نعود من حيث البُعد الواقعي والرمزي وارتباط القصة بالفكر المقاوم.

التمهيد

النكبة وانعكاسها في قصة "إلى أن نعود"

برزت قضية اللاجئين الفلسطينيين بعد الهزيمة التي منيت بها القوات العربية إثر الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948، عندما قامت العصابات الصهيونية بتدمير أكثر من530 قرية فلسطينية وارتكبت المجازر بحق الشعب الفلسطيني وأجبرته على ترك أرضه، وأنشأت الكيان الصهيوني على نحو 78% من أرض فلسطين، فأصبح الشعب الفلسطيني مشتتاً وممزقاً يعيش في مخيمات اللجوء بلا وطن أو هوية، وعلى الرغم من ذلك لم ينسَ وطنه وحمله معه أينما ذهب.

فأحدث ذلك تغييرات في بنية الشعب الفلسطيني في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولعل ما عصف بفلسطين من أحداث سياسية متمثلة بالنكبة انعكس على ثقافة الشعب الفلسطيني (سالم، بهاء الدين، 2018) حيث برز العديد من الأدباء والسياسيين الذين عاشوا مأساة النكبة التي ألقت بظلالها على كتاباتهم الأدبية ومن هؤلاء الأدباء والسياسيين غسان كنفاني الذي جسد القضية الفلسطينية في قصصه ومقالاته ومن هذه القصص قصة _إلى أن نعود_، وهذه القصة واحدة من القصص الثمانية التي جمعت في كتاب بعنوان القميص المسروق وهو عنوان أول قصة في تلك المجموعة التي كتبت خلال الفترة الزمنية ما بين عام (1957 -1969) نشرت تلك المجموعة بعد استشهاد غسان كنفاني بعشر سنوات من قبل مؤسسة غسان كنفاني الثقافية. (السعدي محمد، 20017) كتب غسان كنفاني قصصه في وقت كان فيه الواقع العربي ممزقاً فضلاً عن نكبة فلسطين، وقد عكس الأدب هذا الشعور بالعجز والإحباط والقلق والتشاؤم والسخط على العالم الذي اضطر الإنسان الفلسطيني أن يعيش فيه.

(عبد الغني، مصطفى، 1990).

أما قصة _إلى أن نعود_ كتبت في زمن كانت فيه الذاكرة الفلسطينية منتعشة ومتعطشة للحديث عن النكبة وما حل بالشعب الفلسطيني، ولكن في هذه القصة وصف لمأساة الشعب الفلسطيني التي تجسدت في إحدى الشخصيات التي تحولت لدور الفدائي المقاوم.

الشخوص في القصة

الشخصية الرئيسية

شخصية فدائية تسعى للانتقام من العدو الصهيوني الذي عذبه وقتل زوجته وسلب أرضه، فهي إحدى الشخصيات التي تمثل الشعب الفلسطيني الذي وقع ضحية المجازر التي نفذتها العصابات الصهيونية، وقد أشار التاريخ لهذه المجازر، ولكن غسان بتلك الصورة التي رسمها لزوجة الفدائي التي اغتصبت وصلبت على الشجرة استطاع أن يبين فظاعة الجرائم رغم كل محاولات اليهود الذين أرادوا إخفاء جرائمهم عن المجتمع الدولي.

فلم يختر الكاتب اسماً لهذه الشخصية؛ لأنها تمثل الشعب الفلسطيني الذي أصبح رقماً دون هوية ودون مأوى بعد أن فقد أرضه التي كانت تمثل له أمنه ومصدر رزقه، فأصبح يعيش حالة من الصراع النفسي التي تجلت في قتل زوجته من جهة، ومشهد أرضه من جهة أخرى، فمزج بين الماضي والحاضر، ماضٍ أليم عجز فيه عن حماية زوجته التي عذبت وقتلت أمامه حيث عاشت معه ذكرياته الجميلة رغم بساطتها، وبين مشهد أرضه المغتصبة ورائحة ترابها الذي

يشده؛ لتحقيق هدفه وتنفيذ عمليته الفدائية، فأصبحت دافعاً للتخلي عن حالة اليأس والعجز التي أصبح يعيشها اللاجئ الفلسطيني بعد النكبة؛ ليسمع صوته الآخر الذي يناديه ويدفعه؛ لينفذ عمليته (هي أرضك، ألم تعش هناك؟ حسناً إنك تعرفها أكثر من سواك... أعتقد أنك فهمت أن الديناميت الذي تحمله يكفيك). (عبد الكاظم، هيام)

فيزداد إصراراً لتنفيذ مهمته رغم جميع الأصوات التي تدعوه إلى التخلي عنها والقبول بالعجز العربي، ويرفض ذلك العجز في قوله لرئيسه الذي طلب منه الاستراحة بعد أن نفذ مهمته بسبب حالة الإعياء التي ارتسمت على وجهه ودون أن يفكر مدفوعاً بروح الجهاد والمقاومة وهو يسند رأسه على أكياس الديناميت ويقول: بنفس طويل إلى أن نعود أي أن ذلك اللاجئ سيتحول من حالة اليأس إلى الكفاح المسلح في المستقبل الذي سيعيد له ما فقده من أرضه في مشهد غلب فيه صوت المقاومة على العاطفة الاجتماعية ورفضه للوعود العربية التي أضاعت فلسطين بدلاً من تحريرها ويعود؛ ليعلو صوت الحق "ولسان حاله يقول ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

إن بروز شخصية الفدائي كشخصية رئيسية وتركيز غسان عليها له دلالة، فقد أراد أن تكون المقاومة هي الحل الوحيد للتخلص من ويلات الاحتلال وجرائمه.

شخصية الزوجة

لم تظهر زوجة الفدائي –بطل القصة- بصورة صريحة في القصة، وإنما مثلت الصراع الداخلي عنده فظهر دورها الاجتماعي الطبيعي الذي تقف فيه إلى جانب زوجها في الحقل والمنزل، ومن ناحية أخرى مثلت صورة المرأة المقاومة التي ترفض الاستسلام للعدو وترفض التخلي عن أرضها وتواجه الاعتداء من العصابات الصهيونية ليتم شنقها بطريقة وحشية أمام زوجها محاولين إسكات صوتها الذي يصرخ بعدم التخلي عن الأرض حتى لفظت أنفاسها الأخيرة مفضلة الموت على رؤية زوجها يعذب، وتركته ليعيش حالة من الصراع النفسي؛ لعدم قدرته على توفير الحماية لها، وقد تكون المرأة رمزاً للوطن الذي تعرض للاغتصاب والخذلان من العالم الذي لم يلتفت للقضية الفلسطينية وترك الفلسطينيين يقاومون وحدهم ويشهدوا ويلات النكبة دون مد يد العون لهم، فمن بقي منهم مدافعاً عن أرضه كان مصيره القتل، وما شاهدناه من صور للمجازر ترجمه غسان بهذه الصورة المستقطعة والتي توحي بقسوة المشهد، ولعل هذا أبلغ من المشهد الذي بدوره دفع الكثير من أهلنا لترك أراضيهم بحثاً عن الأمن وظناً منهم أنهم سيعودون بعد يوم أو يومين، وقد يكون قتلها مشهداً من مشاهد إسكات الحق وإخافة من يطالب باسترداده.

الرئيس (القائد)

شخصية ثانوية في القصة اقتصر دوره على إعداد الديناميت يدوي الصنع وهذا يدل على بساطة وسائل المقاومة التي يمتلكها الفدائي الفلسطيني في ذلك الوقت، كما يظهر عدم القدرة على التخطيط العسكري طويل الأمد الذي يفتقر للتنظيم الفصائلي وللمال والقيادة العربية.

ومما يدلل على ذلك وجود القوات العربية التي كانت تدافع عن جنوب فلسطين من المتطوعين المصريين والسودانيين حيث افتقرت تلك القوات للقيادة الموحدة والسلاح الكافي والاستراتيجية العسكرية في التعامل مع القوات الصهيونية، إضافة إلى أن قيادة القوات الأردنية كانت بإشراف القائد البريطاني غلوب باشا. (معالي، منيرة، 2011)

الخيمة

رمزٌ من رموز النكبة التي ارتبطت بواقع مؤلم عاشه اللاجئ الفلسطيني بعد أن هُجر من أرضه يعاني برد الشتاء وحرارة الصيف، تلك الخيام التي وفرتها له المنظمات الإنسانية _ والصليب الأحمر الدولي _ بعد أن عجزت الأمم المتحدة عن تنفيذ قراراتها وإلزام إسرائيل بذلك، وخاصة القرار رقم (194) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (قرار حق العودة والتعويض) وأنشأت وكالة الغوث الدولية "الاونروا"، للاجئين الفلسطينيين عام 1949.

وهذا القرار يعني الاعتراف الدولي بقضية اللاجئين وحقوقهم السياسية، وتحاول الأمم المتحدة اليوم فرض سياسة الأمر الواقع بتحويل قضية اللاجئين الفلسطينيين إلى قضية إنسانية. (مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، 2004)

الخزان

رمزٌ من رموز الاستعمار؛ ليوهم العالم بأنه جاء لإحياء الأرض واستصلاحها ولكن حقيقة هذا الخزان يمثل المستعمرات الصهيونية، حيث نشطت الصهيونية في بناء المستعمرات في صحراء النقب في أعقاب مشروع بيل عام 1937 تحسباً لحصول صدام عسكري مع مصر في المستقبل، حيث وصل عدد المستعمرات المقامة في النقب عام 1948 سبعة وعشرون مستعمرة وتم توسيع المستعمرات الزراعية توزيعاً استراتيجياً على حدود الدول العربية المجاورة لفلسطين حيث أقامت 12 مستوطنة على الحدود مع لبنان و8 على الحدود المصرية و12 على الحدود الأردنية و7 على الحدود السورية، وقد أدخل على الاستيطان الزراعي خلال هذه الفترة نوع جديد أطلق عليه اسم "الموشاف عفوديم" أي قرية العمال" وهي قرى زراعية ذات طابع تعاوني وامتدت لضواحي بئر السبع (عبد العاطي صلاح، 2007).

المكان

صحراء النقب حيث أشارت العبارات إلى أن الشعب الفلسطيني بقي وحيداً في الدفاع عن وطنه بعد الاحتلال الصهيوني والصراع الذي دار بين الأردن ومصر؛ لاقتسام ما تبقى من فلسطين حيث خضعت الضفة الغربية للحكم الأردني وقطاع غزة للإدارة المصرية.

لم يحدد غسان كنفاني القرية التي ينتمي إليها بطل القصة ولم يحصرها في قرية معينة لأن النكبة شملت أكثر من 530 قرية فلسطينية هُجرت عام 1948.

وهذا الكم الهائل من القرى المُهجرة كان كفيلاً بأن يرفع غسان صوته عالياً _إلى أن نعود_ لان النكبة لم تقتصر على قرية دون غيرها.

الحل

لا نرى حلاً في القصة بسبب استمرارية أبعاد العقدة، هناك نهاية للعمل الذي قام به الفدائي؛ ولكن القضية لم تنته بانتهاء العمل الفدائي؛ فترك الحل مفتوحاً للقارئ؛ لأنه يعبر عن القضية الفلسطينية والقضية لن تنتهي إلا بتحرير فلسطين.

الحياة الاجتماعية

لقد جسدت القصة الحياة الفلسطينية في جميع جوانبها الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها اللاجئ الفلسطيني قبل النكبة فقد صورت حياة الفلاح الفلسطيني الذي ارتبط بالأرض ارتباطاً وثيقاً، رغم ظروف الحياة القاسية التي عانى منها الفلاح الفلسطيني، إلاّ أن هذا التعب كان يختفي بمجرد العودة إلى البيت البسيط الذي يجمع الأسرة الفلسطينية المتماسكة من جهة وعلاقة أهل القرية الفلسطينية من جهة أخرى، وكيف تحول ذلك الفلاح بعد النكبة من دور فلاحة الأرض إلى ذلك الفدائي الثائر الذي يرفض فكرة التخلي عن وطنه وأرضه رغم ما حل في تلك البيوت من التدمير الكلي أو الجزئي.

أبعاد القضية الفلسطينية في قصة _إلى أن نعود_

البُعد الواقعي والتاريخي

الواقعية بمفهومها تركز على تصوير الواقع كما هو وتركز على الجوانب السلبية من الحياة بقصد التنبيه إليها.

أما الواقعية الجديدة (الاشتراكية)

فهي قصص تصور الواقع كما ينبغي أن يكون وتركز على النضال الطبقي وتمجد الطبقة العاملة وتؤمن بحتمية انتصارها. (ابو حمادة ، عاطف وآخرون، 2015)

تحدث غسان كنفاني عن تجربته القصصية (بأن كل قصة كتبها لا تتناول الفرد الفلسطيني فحسب بل تتناول حالة إنسانية لإنسان يعاني من المشاكل، ولكن ربما كانت تلك المشاكل أكثر تبلوراً في حياة الفلسطيني (كنفاني، غسان، 2022).

تأثر غسان كنفاني بالفكر الماركسي والأدب الواقعي الذي ألقى بظلاله على رواياته والتي أصبحت الثورة ركيزتها الأساسية. (أدب غسان كنفاني، 2021)

لقد استوحى غسان كنفاني شخصية بطل القصة من واقع اللاجئ الفلسطيني المرير والمأساوي حيث دارت أحداث القصة حول الإنسان وأرضه وقضيته وأبعاد النكبة الفلسطينية، فهو يمثل حياة اللاجئ الفلسطيني الذي أجبر على ترك أرضه وعلى الرغم من مرور 8 سنوات على النكبة إلا أنه ما زال يعيش أحداثها وما قامت به العصابات الصهيونية من المجازر وما حدث مع زوجته يمثل نموذجاً واقعياً لما حدث مع النساء والأطفال، فقد استحضر غسان كنفاني في قصته أحداث مجزرة دير ياسين، ووصف ما حدث لزوجة الفدائي كواقع حال بعض النساء اللواتي تعرضن

للاغتصاب. (الحمد، جواد، 2005) وتفجير البيوت، خاصة بعد أن رفض شباب القرية الاستسلام رغم أنهم لا يملكون سوى أسلحة خفيفة، لكنهم دافعوا عنها دفاع المستميت حتى نفذت ذخيرتهم.

وقال مناحيم بيغن: خدمت المجزرة الاستراتيجية الصهيونية القائمة على الحرب النفسية حيث أصيب الفلسطينيون بعد سماعهم أخبار المجزرة بحالة من الخوف والهلع، فأخذوا يفرون مذعورين حتى لا يواجهوا نفس مصير أهالي دير ياسين. (الحوت بيان، 1986) لم يتوقف مسلسل المجازر الصهيونية فقد نفذت مجزرة قبية 1949 وأبيدت عائلات كاملة مثل أسرة عبد المنعم قادوس، ومجزرة اللد والطنطورة عام 1948 وبلد الشيخ ومذبحة السموع 1966 ومازالت تلك المجازر ترتكب بحق شعبنا إلى يومنا هذا بهدف إجبار الفلسطينيين على ترك بيوتهم؛ في المقابل كانت العصابات تجلب المستوطنين من جميع دول العالم وتضعهم في المستعمرات.

البُعد الرمزي

البُعد الرمزي: هو البعد الذي يعتمد التلميح دون التصريح وتتخذ من إيحاءات الألفاظ أساساً لدلالات يريدها الكاتب (ابو حمادة ، عاطف وآخرون، 2015).

الرمزية في قصة _إلى أن نعود_ لقد أظهرت القصة الفلسطينية العلاقة بين الأرض والإنسان فهي علاقة استحقت التضحية على امتداد التاريخ النضالي الفلسطيني؛ ومن هنا جاءت قصة _إلى أن نعود_؛ لتظهر ارتباط الإنسان الفلسطيني بأرضه ببعدها الرمزي والنفسي الذي يعبر عن الانتماء والشعور بالكرامة واسترداد الهوية الفلسطينية (الوطنية)؛ لتأخذ طابعها الوجداني والأبوي؛ فالعلاقة بين الأب وابنه علاقة وثيقة لا انفصام فيها إنها جزءٌ منه والفدائي (الفلاح) ابن هذه الأرض البار وإن قست عليه أحياناً إلا أنه لا يستطيع التخلي عنها.

(إنهم الفلاحون يحسون الأرض إحساساً بينما ينظر سواهم إليها كمشهد عابر، إن أي حقل يبعث بالفلاح شعوراً تلقائياً ... يلقي على موجوداته ظل الأبوة مهما عظمت فيشعر الإنسان أنها في حماية قوة غامضة)

لم يترك اللاجئون الفلسطينيون أية فرصة لمحاولات التسلل واختراق الحدود؛ بهدف الحصول على بعض المحاصيل الزراعية من أراضيهم وأجبروا على الرحيل عنها، لكن هذا لا ينفي وجود عمليات مقاومة حقيقية ذات دوافع وطنية وسياسية، كانوا يقطعون خطوط الهدنة بمبادرات فردية ومع الزمن أخذت هذه الهجمات طابعاً أكثر تنظيماً وأخذت شكل المقاومة الوطنية؛ بهدف الثأر والانتقام ممن تسببوا في تشريده وسلبه أرضه ووطنه (صالح، محسن ، 2020)، فأصبح هذا المجتمع يمثل قنبلة موقوتة ستدمر كل شيء حولها عندما يحين وقت انفجارها، مما يشكل خطراً على الكيان الصهيوني؛ أدركت الدول الاستعمارية هذا الخطر وعملت جاهدة على منع إمداد اللاجئ الفلسطيني بالقوة العسكرية؛ لأنه سيشكل خطراً على الكيان الصهيوني من جهة وعلى مصالحها في الشرق الأوسط من جهة أخرى، وتمثل ذلك في العدوان الثلاثي على مصر 1956 ؛ نظراً لمواقف جمال عبد الناصر الداعمة للفدائيين الفلسطينيين ودعمه لهم وتدريبهم في قطاع غزة، فخرجت العمليات الفدائية من قطاع غزة لضرب المستوطنات الصهيونية في النقب (الشرع، صادق، 1997) ، وهذا ما أشار إليه غسان كنفاني في قصته _إلى أن نعود_، (انطلق عبر النقب وحيداً، وحيدا إلا من هذه الزوبعة التي تثور في أعماقه... وها هي أرضه، حيث درج يلهو، تستلقي في أحضان الجبل باستسلام.)

وعلى الحدود الأردنية استطاعت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين اجتياز الحدود الأردنية من مواقع مختلفة وصولاً بفلسطين ونجحت في تنفيذ الغارات على الأهداف العسكرية الصهيونية؛ مما أدى إلى استشهاد بعض الفدائيين واعتقال البعض الآخر، اتخذت القوات الصهيونية من ذلك ذريعة للقيام بالهجوم على قرية السموع جنوب الخليل عام 1966؛ لقربها من مواقعهم العسكرية مما أدى إلى استشهاد بعض من سكان القرية وتدمير المنازل وزرع الألغام الأرضية. (الشرع، صادق، 1997).

أما الخزان الجاثم على أرضه فيرمز إلى ذلك المستعمر الذي جاء؛ ليغتصب الأرض بالقوة ويسلبها من أصحابها الذين سقوها من عرقهم.

وقد يرمز الخزان للظلام الذي اكتنف القضية الفلسطينية فلا مجال لنا للهروب من هذا الخزان فهو في شكله مغلق من كل الاتجاهات بالإضافة إلى أنه لا أحد من الحكومات العربية سيقترب من هذا الخزان فهو لا يريد لشعبه أن يتعرض لما تعرض له الشعب الفلسطيني.

أما الصراع الذي دار في نفسه وهو يستذكر مشهد زوجته وعدم قدرته على إنقاذها فهو يرمز إلى حالة العجز الذي عاشها العالم وهو يقف متفرجاً على ضياع فلسطين وعلى اللاجئ الفلسطيني أن ينتقل من حالة اليأس إلى العمل الفدائي الذي استطاع بأبسط ما يملك من أسلحة (الديناميت) أن يفجر غضبه في الاحتلال.

في حين أن شخصية الرئيس جاءت لترمز إلى النظرة المستقبلية التي يأمل الكاتب فيها أن يكون هناك قيادة تقود العمل الفدائي الفردي وتحوله لقوة مركزية موحدة تشكل الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، تزامن ذلك مع دعوة جمال عبد الناصر للوحدة العربية، وانتشرت أفكار حركة القوميين العرب في البلاد العربية التي انبثق عنها أحزاب سياسية يسارية منها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي انضمت لمنظمة التحرير الفلسطينية كبقية الأحزاب السياسية الفلسطينية، واستطاعت منظمة التحرير الحصول على التأييد العربي؛ لتصبح الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. (الشرع، صادق، 1997). واتخذت القدس مقراً لها وشكلت وحدات عسكرية في الدول العربية عرفت باسم جيش التحرير الفلسطيني فاستطاعت أن تجمع الفلسطينيين في الشتات وداخل فلسطين تحت مظلتها لخوض الكفاح المسلح. (عمرو، ثائر، 2016).

قال غسان كنفاني: (الثورة وحدها المؤهلة لاستقطاب الموت، الثورة وحدها هي التي توجه الموت وتستخدمه لتشق سبل الحياة) (أدب غسان كنفاني، 2021)

ارتباط القصة بالفكر المقاوم

لعب الأدب الفلسطيني دوراً مهماً في توثيق القضية الفلسطينية والحق السياسي للفلسطينيين في أرضهم والحفاظ على هويتهم الوطنية من خلال الأدباء الذين يدعون للمقاومة المسلحة لاسترجاع الأرض في كتاباتهم للقصص، التي تُعد شكلاً من أشكال الوعي الاجتماعي والسياسي، فهي بمثابة وثيقة توثق الأحداث التاريخية للشعب الفلسطيني وخاصة في الفترة التي عاصرت النكبة وعالجت قضايا المراحل المختلفة من التشريد والتهجير إلى المقاومة، من هنا جاءت قصص غسان كنفاني لتؤرخ للأحداث التاريخية من واقع عايشه كلاجئ ومقاوم ثوري ومثقف وصاحب فكر مقاوم. (أبو دحو، رلى، 2016)

بدأ غسان كنفاني نشاطه السياسي في مرحلة مبكرة كغيره من الفلسطينيين فهو لاجئ والسياسة بالنسبة له ليست مجرد عناوين تُقرأ في الجرائد الصباحية بل أحداثٌ يعيشها اللاجئ الفلسطيني في المنفى بعيداً عن وطنه وبيته هناك تعلم العلاقة الوثيقة بين القضية الوطنية والقضية الطبقية وأبناء المخيمات هم الأقدر على الكفاح والثورة.

وفي بداية الخمسينيات التقى غسان كنفاني بجورج حبش، التحق بحركة القوميين العرب التي تأسست بعد النكبة، حيث قامت أفكارها على الوحدة والتحرر والثأر ولكنها استبدلت فكرة الثأر بفكرة استرداد فلسطين، وفي عام 1969 أضافت شعار الاشتراكية (سيد أحمد، ايهاب، 2016) وهكذا تبنى غسان كنفاني الفكر الماركسي اليساري الذي يسير على المبدأ الثوري وفي عام 1967 التحق كنفاني بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي انبثقت عن حركة القوميين العرب، وساهم في كتابة برامجها السياسية وبياناتها وناطقاً باسمها وعمل كحلقة وصل بينها وبين المنظمات الثورية في العالم، واستطاع أن يجذب اليساريين من اليابان وقارة أوروبا وأمريكا اللاتينية حيث شارك ثلاثة من الجيش الأحمر الياباني في تنفيذ عملية مطار اللد 1972 وهم (أوكاديرا وياسودا و أوكاموتو) (سيد أحمد، ايهاب، 2016)

استطاع غسان كنفاني من خلال عمله في جريدة الهدف الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن يحرر الأخبار ويكتب المقالات السياسية والاجتماعية ويؤلف القصص ويقوم بدراسات في التاريخ والأدب الصهيوني والدراسات السياسية وفي قصته _ إلى أن نعود_ حيث رسخ فيها فكرة العمل الثوري والفدائي، وفكرة العمل المقاوم والحنين إلى الأرض وبهذا العمل القصصي أحدث نقلة نوعية مثلت مأساة اللاجئ الفلسطيني بعيداً عن البكاء على الوطن المسلوب ونادى بتحويل دور اللاجئ إلى دور الفدائي المقاوم متجاوزاً بذلك أحداث النكبة ورافضاً التخلي عن أرضه ومتمسكاً بها (عنبتاوي، دلال ، 2015) واستطاع أن يحول خيمة اللجوء إلى معسكر للعمليات العسكرية يستريح فيه الفدائي بعد تنفيذه للعمليات ضد الاحتلال الصهيوني وينطلق منها للمقاومة فيما بعد (عبيد الله، محمد، 2011)

لقد ارتقى غسان كنفاني باللاجئ الفقير _الذي يمثل الطبقة الكادحة في زمن يعيش فيه الآخرون كطبقة برجوازية وكان يحثه على العمل ويخاطبه قائلاً: " لك شيءٌ في هذا العالم فقم".

فالاحتلال يعلم جيداً أن الكلمة أقوى من السلاح، فبداية الثورة كلمة وبداية السلام كلمة" إن ما يميز غسان كنفاني أنه جمع بين السياسة والثورة والأدب فانعكس طابعه السياسي على كتاباته الأدبية ورسخ فكرة العمل المقاوم. (أبو حنيش، كميل، 2020)

لقد استطاع كنفاني من خلال هذه القصة القصيرة وشخصياتها البسيطة أن يُقدم للمجتمع قصة شعبه بفئاته المختلفة حيث (الفدائي والمرأة المقاومة وصانع المتفجرات) الذي قاوم جيشاً تهيأت له كل أسباب الدعم اللوجستي، فتكاد وأنت تقرأ أحداث القصة أن تشعر بالصراع والمواجهة بين الشخصية الفلسطينية وشخصيات الاحتلال والتي وإن لم تظهر بقوة في أحداث القصة ولكنها ظهرت بأفعالها المشينة حيث اغتصبت زوجة الفدائي وسرقت ارضه.

لم يكتف كنفاني بذلك فرغم ثورته التي تجدها في كل عبارة من العبارات التي صاغها في قصته إلا أنه نقل القارئ إلى سلوك شخصياته التي عرضها بشكل طبيعي لا افتعال فيه فقد صور الفدائي في عدد من الحالات أولاها حين كان حزيناً على ما جرى مع زوجته ولكن الحزن لم يسيطر عليه بل انفجر هذا الحزن ثورة تسعى للانتقام وبذلك فقد أجاد كنفاني في سبر العالم الباطني لشخصياته وهو يزاوج بين العالم الخارجي الذي تتحرك فيه الشخصية وبين وجودها النفسي والباطني.

اختار كنفاني شخصياته اختياراً يتناسب وفكره المقاوم فهو لا يختار الشخصية المستسلمة او الضعيفة، إنما يختار الشخصية الفاعلة التي تعشق الأرض والوطن وتعرف أن الوطن المغتصب لا يسترد إلا بالدفاع عنه.

والفكر المقاوم هو فكرة نابعة من شعور الفرد بالظلم والقهر والوحدة وعدم وجود نصير يساند المظلوم في الدفاع عن حقه لذا لم تتعدد الشخصيات في قصة كنفاني وقد جعلها تعاني الوحدة في أقصى حالاتها كتعبير منه عن حالة اليأس العربي الذي لم يفكر مرة في مساندة الفلسطيني أو إمداده بالسلاح بل جعله وحيداً في مهب الريح.

دائماً ما يرتبط الفكر المقاوم بزمان أو مكان، وقد استطاع كنفاني من خلال الذاكرة البسيطة التي أحياها لدى الفدائي أن تجعله متجذراً في هذه الأرض التي زرعها آباؤه وعمروا فيها طويلاً والفكر المقاوم يصبح قوياً من خلال ايمان كنفاني بالكفاح المسلح والصمود في وجه المحتل مهما طال أمده، وعلى الرغم من الوحدة الضياع والإحساس بالقهر الملموس في أحداث القصة إلا أن كنفاني مؤمن بحتمية زوال الاحتلال من خلال التضحية والنضال التي ستنبع من حبه الحقيقي للوطن بكل مقوماته وعناصره وأركانه.

ففكر كنفاني المقاوم لم يكن نابعاً من سلاح تحارب به العدو فحسب بل هو انعكاس لإيمان صاحب الحق بأحقيته في هذه الأرض التي سرقت منه ولم يكن له من يسانده سوى كفه التي انغرزت في الأرض ورفضت التخلي عنها لتقول للمحتل بأن الكف ستلاطم المخرز ولن تضعف.

النتائج

1-استطاع غسان كنفاني من خلال هذه القصة القصيرة أن يقدم للقارئ أبعاداً مختلفة لقضية شعبنا الفلسطيني فقد وصف الحالة الإنسانية التي عاشها اللاجئ الفلسطيني للكشف عن مؤامرة حقيقية، تمثلت في موقف دولي اكتفى بخيمة تأوي الفلسطيني دون توفير أدنى مقومات العيش الكريم له وبذلك يضمنون إفراغ الأرض من سكانها وإحلال المستوطنين بدلاً منهم.

2-كما استطاع أن يكشف موقف العالم المتخاذل من القضية الفلسطينية، وعلى النقيض يكشف قوة صاحب الحق الذي رفض التخلي عن أية ذرة من تراب وطنه رغم ضعف مقومات المقاومة.

3-بساطة السرد الذي تميز به غسان كنفاني عكس رغبته في أن تكون القضية الفلسطينية حاضرة في ذهن كل متلقي يقرأ قصصه فيلمس واقع الشعب الفلسطيني وما تعرض له من معاناة دون وجود أي دعم دولي أو عربي، وقدم التاريخ الحقيقي للقضية الفلسطينية أحداثاً وليس تواريخاً وأرقاماً.

4-استمرارية الأحداث وعدم وجود نهاية للقصة تعكس رؤية غسان في بنائية القضية الفلسطينية وارتباطها بالواقع فلو أوجد الحل لانتهت القضية ولكنها ما زالت قائمة بفصولها وشخوصها دويلاتها والمؤامرة التي أحاطت بالقضية هي أكبر تحدٍ عاشه الفلسطيني وكان عليه تجاوزه جاعلاً نصب عينيه الهدف الاساسي (إلى أن نعود) أي العودة الحل الأنسب لهذه القضية وأي قصة أخرى كتبها كنفاني هي العودة لأرض عشقها وقدّم الغالي والنفيس ثمناً لها.

المراجع

1-أبو حنيش، كميل. (2020)، **غسان كنفاني كلمة السر في ادب المقاومة**، صحيفة الميادين.

3-أبو حمادة ، عاطف وآخرون. (2015)، **دراسات في الأدب الفلسطيني** (المجلد 2)، ام السماق، الاردن: جامعة القدس المفتوحة.

2- أبو دحو، رلى. (8 7، 2016)، **تاريخ آخر لفلسطين: غسان كنفاني وتحريض التاريخ**. الهدف.

3- الحمد، جواد. (2005)، **المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني 1948-2001**، مركز الدراسات الشرق الاوسط عمان.

4- الحوت، بيان. (1986)، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948** (المجلد 3)، بيروت: دار الهدى.

5- السعدي، محمد. (2017)، **قراءة في المجموعة القصصية "القميص المسروق" لغسان كنفاني**، مدونة خير جليس في الزمان كتاب.

6-سالم، بهاء الدين. (2018)، **التحديات المعاصرة التي تواجه اللاجئ الفلسطيني في ظل الازمات الراهنة وسبل التغلب عليها**، مؤتمر اللاجئون الفلسطينيون في المخيمات الواقع والتحديات. الاولى، صفحة 135. رام الله: جامعة القدس المفتوحة.

7- سيد أحمد، ايهاب. (2016)، **غسان كنفاني رائد الرواية الفلسطينية**، جريدة العين الاخبارية

8- الشرع، صادق. (1997)، **حروبنا مع اسرائيل 1948-1973** (المجلد 1)، دار الشروق، عمان.

9- صالح، محسن . (2020)، **المقاومة الفلسطينية من نكبة 1948 إلى انطلاقة فتح**، جريدة عربي.

10-عبد الغني مصطفى. (1990)، **فلسطين في أدب غسان كنفاني**، مجلة شؤون فلسطينية.

11-عبد الكاظم، هيام . (بلا تاريخ)، **الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني**، مجلة كلية التربية/ واسط، العراق.

12-عبد العاطي، صلاح. (2007)، **الاستيطان الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948**. مجلة الحوار المتمدن

13-عبيد الله، محمد. (2011)، **غسان ونقد القصة القصيرة**، جريدة الرأي.

14-عنبتاوي، دلال . (2015)، **القصة الفلسطينية النشأة والتطور**، جريدة الرأي.

15- عمرو، ثائر. (2016)، **منظمة التحرير الفلسطينية دورها وموقعها ومستقبلا في النظام السياسي الفلسطيني**، القدس، جامعة القدس.

16-معالي، منيرة . (2011)، **دور الخليل في الحركة الوطنية الفلسطينية 1917-1948.**فلسطين، الخليل.

17-برنامج خارج النص (المنتج). (2021)، **أدب غسان كنفاني [فيلم سينمائي]**.

18-كنفاني، غسان. (2022)، **كنفاني عن الطفولة والأدب والماركسية والجبهة والهدف**، مجلة الرُمان.

19- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني،2004)، **القرارات الدولية المتعلقة بقضية اللاجئين**، دنيا الوطن.